

باب امر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين اليوم وجماعة الدعوة والارشاد

حضرة السيد الامام العالم البصير والمصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد طرق سمعي ما وصلت اليه حال جمعية الدعوة والارشاد ومدرستها من الضعف بسبب نفاذ المال القليل الذي جمع لها وبخل المسلمين . فأتى ذلك في قلبي تأثيرا محزنا لعودنا عن العمل في الوقت الذي نهضت فيه أمم العالم قاطبة . وحيث إن جبل رجائي مع ذلك لم يتقطع من ترك المسلمين لهذه الغفلة وهذا الجود الذين أخرجوا مركزهم أشد الخرج في الهيئة الاجتماعية - رأيت أن أبعث اليكم بهذه الكلمة راجيا نشرها في مجلتكم المنيرة قياما بالنصيحة الواجبة على كل مسلم وتذكرا للمستعدين (وذكروا فإن الذكري تنفع المؤمنين) :

أتى على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه أعزاء ترفرف فوقهم أجنحة الامن والسعادة ، وكانوا خيرا على أنفسهم وعلى البشر بما وضعوا من النظام القويم ، والقوانين العادلة ، وبما كانوا يقومون به من الاعمال النافعة لأنفسهم وللناس . ولا عجب فقد كانوا في ذلك متبعين أوامر دينهم الخفيف . فلما انحرفوا عنها كما هو حالهم الآن شقوا وصاروا شرا وبلاء على أنفسهم وعلى البشر ، وأصبحوا عالة على الامم الاخرى في جميع مقومات الحياة وعبرة لمن يعتبر .

على ان أعظم ما تركه المسلمون من هداية دينهم وكان له الاثر السيء في عامة شؤونهم هو فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » و « الدعوة الى الدين » . فقد ادت افعال الفرض الاول الى انتشار المنكرات والفجور بالتدريج بين المسلمين كافة ، وفشو الجهل فيهم بأقبح أشكاله ، وأن صار الدين غريبا عن كل أعمالهم . وهذه الاعمال أثرت فيهم أعظم تأثير بالمواظبة عليها ، وعدم وجود من يقاومها أو

ينكرها ، فألفتها نفوسهم واستأنست بها فكانت ملكات وتقاليد وعادات . ولم يقف الشر عند هذا الحد بل بانغ المسلمون في الامر بالتمس بعضهم نصوحا من الشرع يستبيحون بها ما أحدثوا في الدين فلما أعيام ذلك تأولوا كتاب الله وسنة رسوله بغير ما يؤديان اليه وطبقوا بعض محدثاتهم عليهم ما وهمين أنفسهم والناس انما من الدين وما هي من الدين ، وان هم الا يكذبون .

وكان من عاقبة اهمالهم الفرض الثاني انتشار الكاذب عن الدين الاسلامي وتشويه أعدائه لسمعته ، وقلبهم حقيقته ، حتى خفيت هذه الحقيقة عن مرئيه أو المستعدين لقبوله . وقد فطنت لفوائد الدعوة الى الدين الامم المسيحية العظيمة الحية فتأملت عندهم الجمعيات ذات رؤوس الاموال الضخمة التي أوفدت رجال الدين الى مشارق الارض ومغاربها وزودتهم بالمال الوفير وعضدتهم بنفوذها فنجحت أعمالهم في نشر الدين المسيحي حتى بين المسلمين .

ألا إن البلاء الذي نزل بالمسلمين لعظيم . وما ينتظرهم منه ان لم يفتتوا من غفلتهم أعظم . وقد صاروا الآن امام أحد أمرين : إما العمل العاجل السريع ، وإما الهلاك الاكيد والسقوط المريع . ولا مخرج من هذا البلاء إلا بالاقلاع عن هذه الخطة الذميمة الضارة ، والعمل بقواعد الدين الاسلامي الذي نعتقد ان فيه فلاحنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة . وان أعظم ما ينبغي البدء به منها انما هو قيامنا بهذين الفرضين العظيمين « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » « الدعوة الى ديننا القويم » . ولكن لذلك وسائل لا بد من إعدادها وتوفيرها في الامة . اذ انه لا يستطيع القيام بذلك الواجب إلا اناسي يتخصصون له من أفراد المسلمين يكونون واسعي الاطلاع بعلوم الدين واقفين على حقائقه ملمين بطرف من العلوم الاجتماعية والعصرية على قدر حاجتهم منها كي يمكنهم تقريب ما يريدون من اذهان مخاطبيهم على اختلاف درجاتهم في العلم والاستعداد وتباينهم في الاخلاق والعادات . ولما كان أمثال هؤلاء لا وجود لهم الآن في الامة الاسلامية أو ما يوجد منهم ليس بالعدد الكافي - قضت الضرورة بإعداد هؤلاء الهداة اعدادا وانشاءهم انشاء . وهذا ما فكر فيه استاذنا زاده الله توفيقا فأقترح تأسيس جمعية [جماعة الدعوة والارشاد

ومدرستها الجليلة وبذلك وصف الدواء لداء الامة الدفين الذي كاد يودي بحياتها.
ان مهمة تعليم فئة من المسلمين ذلك التعليم الخاص وتربيتهم تلك التربية الدينية
المحضة بين زواج الفساد التي اكتسحت البلاد لمن الاعمال التي تتطلب كفاءة
عظيمة واستعدادا خاصا - ولكن الاستاذ الذي لا ينثني له عزم أخذ على عاتقه
القيام بانفاذ المشروع وحق للمسلمين ان يفرحوا ويتهللوا وقد جاءهم الطبيب الماهر .
ولكن ماذا حصل ؟

نشر المقترح دعوته بين المسلمين في انحاء المعمورة كافة فلبتها طائفة كل على
قدر استعداده وقبوله للمشروع فكان المال الذي جمع كان قليلا جدا لا يفي بجزء
عما يلزم لهذا العمل العظيم وانقبضت أيدي سائر المسلمين
وأما الاستاذ فقد بسط يده للعمل على قلة وسائله فولد المشروع وقوت برؤيته
عيون المخلصين . ولكن ذلك المولود ككل مولود حي يحتاج الى عناية وغذاء كي
ينمو ويشهد ، غير أن ضمن المسلمين بالمال كان سببا في سرعان الضعف اليه حتى
أشرف على الاضمحلال والعياذ بالله تعالى .

ولا يفوتني في هذا المقام ملاحظة التفاوت العظيم في إقبال الشعوب الاسلامية
على المشروع . فمع ان المكان الذي اختبر ليكون مقراً للجمعية ومدرستها هو مصر
فان قومي المصريين لقلة ما ساعدوا كانوا كأنهم غير متصودين بالدعوة حتى انه
ليصح أن يقال مع الخجل العظيم ان الجمعية أسست والمدرسة أنشأت من أموال
غيرهم .

فأتم يا مسلمي مصر بوجه خاص أعنيكم بالمقال . انه غير خليق بكم أن تقفوا
ساكنين امام أعظم مشروع اسلامي وهو قد انشئ بينكم واحتمى بجواركم ولكم
ثمارة وشرفه قبل غيركم . ان اضمحلال هذا العمل لا قدر الله ان بسبب سمة
المصريين كثيرا كما ان نجاحه بشرفهم ويرفع قدرهم . ففي هذه الازمة الكبرى التي
يجتازها العالم أجمع وتدوس فيها الامم الكبيرة باقدامها ظهور الامم الصغيرة أو الضعيفة
ينبغي للشعب المصري الكريم الذي آتاه الله من الاستطاعة على خدمة دينه ما لم
يؤت غيره ان يقوم بالعمل الذي ينتظره منه العالم الاسلامي الذي يعده في مقام الامام

المرشد وهو تمضيد هذا المشروع الذي اذا قوي وعاش سيكون باذن الله تعالى ينبوع حياة الاسلام والمسلمين واساساً لسعادتهم المستقبلية .

ان المصريين يستطيعون ان يحرزوا هذا الفخر الخالد بالتبرع بشيء من مالهم لا يضرهم اتفاقه ولا يفتنهم امساكه ، ان المشروع ضروري حيوي ونجاحه يدل على حياة كامنة في جسم الامة الاسلامية طالما انكرها اهلها محتقروها وحاسدوها كما ان مرته لا قدر الله يشمت فينا أعداءنا ويهيجنا عرضة لهزء العالم أجمع وسخريته تقوم الامم الحية كل يوم بالاعمال العظام والمشروعات الكبرى لاغراض ثانوية أو كالية ونجد الاموال تتدفق على القائمين بها من جيوب أهل الغيرة من أهلها فلا يمضي وقت قصير حتى نوضع لها أسس وطيدة ودعائم ثابتة ويجني القريب والبعيد من أفراد الامة ثمارها ، وهذا مشروع واحد أساسي لحفظ حياتنا الدينية والمدنية ، وسلاح الرد الخطر الذي يهدد كيان الامة الاسلامية ، ونور لمحو الظلمة التي خيمت على العقول والقلوب ، ورحمة لمنع ما حل بنا من الشقاء والخطوب . فهل يموت رضيعاً وفي جيبنا درهم ؟ وهل نستطيع بعده ان ندعي المروءة والشم ؟ « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم »

اي قوم ، ان المشروع كبير ولا يقوم به الا أعظم الرجال استعداداً وأبعدهم همة . ومثل هؤلاء قليل ظهورهم في الامة . وان الاستاذ صاحب الاقتراح بما هو عليه من التقوى والصلاح وما امتاز به من العلوم الشرعية وما كسبه من المعلومات الثمينة والاختبار العظيم بسياحاته العديدة في بلاد المسلمين وما وهبه الله من الاستعداد الفطري النادر المثال لا ريب انه أقدر الناس على تنفيذه على الوجه الاكمل ووضع أسسه الكفيلة ببقائه حتى يستطيع من يخلفه فيه ان يتبع خطواته بغير عناء .

ان الرجل ثالث ثلاثة نوابغ لم يوجد لهم نظير من عدة قرون وقد شهد الاستاذ الامام بكفائه وجعله موضع رجائه . فعلى المسلمين كافة والمصريين خاصة أن يستدركوا ما فاتهم من الانتفاع بمواهب سلفيه « جمال الدين » « ومحمد عبده » بأن لا يضيعوا الفرصة السانحة الآن . انكم ان أضعمتموها يخش أن لا تعود قبل عدة قرون . أقول وقولي هو الحق ، انه لو علم المسلمون حق العلم بقدر رجالهم الذي ضيعوا

أمواله وحياته ونفسه في سبيل مصلحتهم فقدوه بالاولاد قبل الاموال ، وبالانفس قبل الاولاد . لامراء في ان الامة الاسلامية أشد الام تأخرا في مضمار الحياتين الدينية والمدنية وهي لتلك أشدهم افتقارا للعمل . فان كنتم أيها المسلمون لا تعملون الآن فتمتعوا بعملهم ، وان لم يعجبكم مشروع امامكم الرشيد فماذا أنتم من وسائل الحياة والعمل النافع تعدون . وان كنتم مقتنعين بصلاحية المشروع فمن ذا الذي يقدر على تنفيذه كما ينبغي من بعده أفلا تذكرون ؟

أيها المسلمون ان الله غنيٌ عني وعنكم وعن العالمين . ولا يتوقف نصر حق على مساعدتنا . فالله يختار لنصرة دينه من يشاء . فان لم تكن من الوقتين ، فيوشك ان يخرج الامر من أيدينا ويوكل الله به قوما آخرين . والله غيور على دينه وحافظ له من الزوال . ولا بد ان يتم نوره ولو كره الكافرون . فظهور الدين محقق فان لم يكن على أيدينا فسيكون على أيدي غيرنا « ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » « إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد » وما ذلك على الله بعزيز .

فمن ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا يضاعف له القرض ؟ ومن يسارع الى جنة هرضها السموات والارض ؟ هذا أو ان العمل فاعملوا أيها المسلمون ، وهاكم طريق الفلاح فاسلكوه لعلكم تهتدون .

يا قوم : أنذرتكم ونصحت لكم واتا منكم ، واقع في التصير مثلكم ، وأنا أدعوكم وادعو نفسي قبلكم ، بالتبرع بما تقدر عليه من مالي ومالكم ، لا يستقل مقل حطاة وان قل ، ولا يستكثر مكثر ما يستطيع ان يبذل . وها أنا ذا اخطو الخطوة الاولى في هذه الكرة الثانية فادفع على قلة ثروتي خمسة عشر جنيا مصريا بعد ان ذهبت في الكرة الاولى عشرين جنيا مصريا . ابغيا ذخرا عند من خلقي ولم أك شيئا ، فأقبلوا على تجارة لن تبور ، وهلموا الى التبرع بالقليل والكثير . وانظروا الى ما نحن فيه من المحنة ، وادروا السيئة بالحسنة ، وأحرزوا بالقيام بتنفيذ المشروع شرفا تحفظه لكم الاجيال المقبلة فلا يضيع ، ويكون لكم عند الله خير

شفيح ، يوم يقوم الناس ويحشر الجوع .

هذا وانصافاً لمجلة المنار الاسلامية ؛ وتقديراً لخدمتها في سبيل الغرض المقصود للجمعية ، ادفع اشترك خمس سنين سلفاً ، وأتبرع باشتراك سنة لمن يبرز في انشاء أحسن مقالة في أحسن فكرة اصلاحية لخدمة الاسلام والمسلمين . فسدد اللهم أعمالنا ، وأزر لنا سبيلنا ، آمين

م . ن .

[النكا]

نشكر للكاتب غيرته على دينه وملكته ، وشعبه المصري وسائر أمته ، كما نشكر له حسن ظنه فينا ، ونسأل الله ألا يجعل اطراءه فتنة لنا ، ولا بدعة الى ترجيح ظنه فينا على ما نعلمه من ضعفنا وعجزنا ، ونرجو ان يعذرنا اذا نحن لم تقبل منه الاشتراك عن خمس سنين سلفاً فحسبه من الوفاء للمنار ماجرى عليه من دفع اشترك كل سنة سلفاً ، فهو من السابقين بالخير اشراكاً وأداء

هذا— وإن الكاتب قد كان كتب مقالا قبل هذا في معناه أكثر ما فيه المبالغة والاعراق في المدح والثناء على صاحب المنار فكان استحيائنا من نشره بل من قراءته أقوى وأشد من استحيائنا من رده ، مع يقيننا باخلاص الكاتب واعتقاده أنه كتب بعض الحقيقة بلاذلو ولا مبالغة ، وقد قلنا له إننا لانظن ان نشره يأتي بالفائدة التي ترمي اليها ، وان كنت أحسن منا ظنا ولا بد أن تكتب في هذه الدعوى شيئاً فاجعل الكلام في موضوع العمل دون مدح العامل ، — فإنا نأبهذ المقال ، فلم نر بدا من نشره ، لان ذلك من حق كاتبه علينا اذ لانعرف أحدا من الناس أشد غيرة ، وإخلاصاً منه لربه ودينه وأمته ، وأي دليل أدل على الغيرة والأخلاص من بذل المال في سبيل الله ؟ وقد علمنا علم اليقين اننا لو قلنا أن نأخذ منه جميع ما بيده لإيقافه في مشروع الدعوة والارشاد لبذله مرتاحاً ، بل طالما عرض علينا بذل ماله ووقته فيما نراه من خدمة الدين وإقامة السنة ولكننا لمعلم ان عياله أحوج الى ذلك من مشروع لا يتوقف نجاحه على هذا المال القليل ولا يسقط بفقده ، وقد كان ما بذله كتابة بهذه المقالة أكثر مما أثبتناه فيها فاستأذناه بتصحيحه فسكت بعد مناقشة ومراجعة

واننا نستحسن ان نعيد بعض ما سبق لنا من الكلام في أسباب نشر بعض الرسائل والاسئلة المشتملة على الثناء وألقاب المدح لنا بنصها على خجلنا عما في بعضها من المبالغة وانتقاد كثير من الناس لنشر مثله، وأهم تلك الاسباب الامانة وبيان آراء الكتابين في الاصلاح الاسلامي والقائمين به لاهل عصرهم ولن بعدم وموافقة سلفنا الذين كانوا ينشرون مثل ذلك بنصه كما تراه في كتب الفتاوى، وكان كثير

من هذه الفتاوى ينسخ في هصور العلماء الذين كتبوها وينشر في الاقطار إن بيان ما ذكر من الاسباب لنشر ما اشتمل على المدح باب من أعظم أبواب التاريخ وأعمها فائدة، وليس هو من قبيل تدوين المدائح الشعرية في شيء، واننا نكره المدائح الشعرية المحضه، ويقابل هذا الباب في تاريخ الاصلاح باب الانتقاد وقد التزمنا نشر ما يجيئنا من الانتقاد على أقوالنا وأعمالنا حتى أننا ندعو الناس الى ذلك في منار كل عام ولم ندع أحدا قط الى المدح والتعجيز وان كان من قبيل التعاون على البر والتقوى الذي يقصده صاحب هذه الرسالة

كتب الكاتب هذه الرسالة معبرا بها عن بعض ما في نفسه من وجدان واعتقاده راجيا ان يشعر بشعوره ويعتقد اعتقاده كثير من المسلمين فينهضوا بمشروع الدعوة والارشاد، ويجود كل له بما يستطيع على قدر ما آتاه الله من السعة والثروة، ولولا ذلك لما كتب حرفا. وقد نشرنا له ما كتب احتراماً لشعوره واعتقاده ولما فيه من التعاون على الدعوة الى الخير والامر بالمعروف الذي نصدقنا له، ولكننا لانظن أن دعوته تجاب ولا أن أمنته تصدق وان كنا من القائلين بتأثير الكلام في الجملة، وانما يكون التأثير بقدر استعداد من يقرأ الكلام ويسمعه، ولا يزال استعداد الامة الاسلامية للقيام بالاعمال الاجتماعية ضعيفا جدا، وهو في البلاد التي لها حكام من أهلها، أضعف منه في غيرها، وان كان هؤلاء الحكام صوريين لا استقلال لهم في سياسة ولا ادارة، فأرق مسلمي الهند وبنسبها هم أهل الولايات التي يتولى حكمها الانكليز بأنفسهم، وابعدم عن الترقى والاجتراح من لهم حكام من أنفسهم، وسنين رأينا في أغنياء بلادنا وأصناف الناس في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى